رشاد الدهشورى

حكايات الصمت والعطب

قصص قصيرة

صدرت الطبعة الأولى فى إبريل 2019

بطاقة الكتاب

عنوان المؤَلَّف : حكايات الصمت والعطب

المؤلِّف : رشاد الدهشورى

التصنيف : قصص قصيرة

رقم الإيداع : 8878 - 2019

عدد الصفحات : 106 صفحة

رقم الإصدار الداخلي: 394 – الطبعة الأولى إبريل 2019

دار النيل والفرات للنشر والتوزيع

ثورة مصرية تشرق إبداعا على الوطن العربي

رئيس مجلس الإدارة

ناجى عبد المنعم

ALNILE WAALFORAT

دار النيل والفرات للنشر والتوزيع

أسسها الشاعر ناجى عبد المنعم عام 2017

رخصة مزاولة مهنة:58365 – سجل تجاري: – 13242 / 2017 – بطاقة ضريبية: 35—01—572

عضو عامل باتحاد الناشرين المصريين رقم 941 لسنة 2018

هاتف:01011256943 – 01116202218 – 01202541192 تليفاكس:0205543729 01

alnilwaalfourat@gmail.com alnilwaalfourat

المقر الرئيسي:ج.م.ع محافظة الشرقية – العاشر من رمضان – مجاورة 13 – امام سنتر الـ13 – عقار 304

الإهـــــــداء

**إلى أمى وأبى فى الرفيق الأعلى "اللهم ارحمهما كما ربيانى صغيرا

**إلى الشجرة التى اظلتنى ووهبتنى محمد ويوسف "إلى زوجتى"

حكايات الصمت والعطب

حكاية أولى

غرفة من زجاج مصمت..الأضواء خارجها والضوضاء وبعض الورود الفاغرة أشواكها.

أخطو خطواتى الأولى ،يحصونها ويغنون.

"تاته خطى العتبة.. تاته حبة حبة ".

سيدة وجهها كالشمس تتبع خطواتى وتوزع فرحتها على الحاضرين.تتنهد:

- **"كان نفسى أبوة يكون عايش ويشوفة.. صحيح اللى خلف ما مات....فولة وانقسمت نصين".**

تخفت الأضواء مع عدد خطواتى.. فاحطم حوائط غرفتى بكف يدى.. أقترب من الورود أراودها عن نفسى.. تهم بى وأهم بها, أتأمل دمى وعظام أصابعى عبر الجرح الغائر باليد ,جمال الأشياء يحمل سر فنائها.

لست متأكدا من شيء,وجودى,اللحظة. اللمحة. البارقة.

الشمس تؤكد وجود الظلام, لون الورود الذى بلون دمى يؤكد.

افتقد وجود أبى, وجودى. أخطو خطواتى الأولى والشعر الأبيض يملأ رأسى ولحيتى مكنسة للأرض.

حكاية اخرى

لما دخل الضوءعدسات عيناى أغمضتهما بشدة

ولما ضربونى على مؤخرتى ورأسى للأسفل أدركت أنهم متوحشون جدا وكتمت البكاء.

قطعوا حبلى السرى وقالو أنى أشبة الذى مات بالظبظ..

قالت عجوز وهى تكحل عيناى بالكحل الحراق..

"اللى خلف ما مات "

بكيت بحرقة ولما فتحت عيناى فى عيونهم ضحكوا فبانت أسنانهم..وراحوا يدورون حولى ويرقصون بعنف.

ولما رأيتهم يأكلون بنهم أشد أدركت أنهم لم يكونو يبتسمون، بل كانوا يكشرون عن أنيابهم فاغمضت عيناى.

الساعة تدق نواقيس هلاكهم.لكنهم يحتفلون بمرور الزمن

ويشربون نخب الفناء. أفهمونى ان الأسنان خلقت للقطع وليست للإبتسام. وأن اللبن وحده لايكفى للحياه.

وعلمونى كيف أنهش اللحم, فلما أدركنى الجوع أكلت لسانى

الصمت

مائة عام, كل يوم أخترق الساحة. كل يوم يخترقون الساحات.

كل يوم أقرأالجرائد..كل يوم يقرءون.

كل يوم يودعون أحبائهم ويتبولون من الخوف

وأخاف.أخاف أن أبقى وحيدا..

الشمس التى أحبها تغرب والحياة التى أعشقها تموت مع الغروب

فى الشمس تنمو الأشجار

كل يوم يتأملنا ونتأمله. ذلك التمثال للمرأة الفاتنة العارية التى تحمل فوق رأسها خبز السعادة وساعة الزمن..أتأمل عريها الفاتن فأتأكد من سذاجتى.

يدورون حول هذا التمثال الفاتن وأدور معهم..يسقطون وأسقط.

وفى لحظة مباغتة لايبقى إلارنين الساعة و صوت دوران عقاربها النهمة جدا والتمثال الفاتن جدا جدا،

فقط, لمبة كهرباء نيون وفراشات محترقة.

فردة حذاء قديمة.

لعبة طفل, سارية بها بقايا علم أكلتة الشمس..أشجار جافة .شواهد قبورونبتة صبار حزينة..

لوحة من الجرانيت مخطوطة...هنا يرقد فلان ابن فلان الذى دار حول التمثال مائة عام.. ثم افترش الأرض ونام.

العطب

استيقظ قلقا... أحس جسده ثقيلا وكأنه بعث للتومن موت طويل. نظرإلى الضوء الخافت المتسلل من شباك الغرفة رأى وجه زوجته الغارقة فى النوم محدثة غطيطا وجلبة, رأى أنفها يستطيل شيئا فشيئا حتى اصطدم بسقف الغرفة.. حدق فى المرأة التى بالسرير.رأى نفسه مومياء محنطة..

مزق الأكفان عن جسدة قافزا. تسلل إلى الغرفة المجاورة..

أحس بالدم يندفع فى عروقه بشدة, تملكتة رغبة فى العرى ،تخلص من ملابسه قطعة قطعة ووقف يتأمل فحولته أمام المرأة..

تذكر جارته الحسناء التى سافر زوجها إلى بلاد النفط من زمن بعيد, إمرأة فاتنة بضة طرية تتأود بين يديه كقطة إفرنجية. نفخ عضلات صدره بقوة, فتح الثلاجة. طبق خيار مخلل وزجاجةخمر.. ملأ كأس وشربه دفعة واحدة وأتبعة بآخر حتى امتلأ وألقى بالكأس الفارغ إلى شباكها ففتحت,

بدت عارية تماما.لوحت له بكفها أحس أن عينيه اقتلعتا من جمجمته وراحتا تتقافزان على تضاريس أنوثتها, يتأملها فى شبق غير عادى.

إستدار فوجد زوجته خلفه تماما كتمثال شمعى.

أحس أن لسانه سقط إلى أمعائه, بدا لسان زوجته يستطيل حتى التف حول عنقه..فر إلى غرفة نومه هاربا..استلقى على سريره وكأنه فى تابوت..راحت عيناة تغوران حتى استقرت فى مؤخرة جمجمته فبدا لزوجته وكأنه بلا عينين..

استدارت وخرجت إلى الشرفة تبحث عن عينا زوجها المفقودتين

وجدت هناك عيونا كثيرة جائعة ودوامات من ظلام....

آدم

قطعة لحم حمراء أتسمع دقات قلبك الحنون .أتوسد طحالك الدافىء

أشعر بدوامات من السعادة كلما اندفع دمك فى حبلى السرى لينسكب حبا فى أوردتى وشراييني.

تكتمل عظامى وجمجمتى وتقوى عضلاتى أستشعر فرحك كلما تحركت فى مخدعى ..أرقص بكل ما لدى من قوة لأقول لكى أنى سعيد باتحادى بكِ.

يتوقف الدم فى الحبل السرى وقوة ما تدفعنى .

أتشبس بموضعى.

ترعبنى صرخاتك ويدا قوية تجذبنى من جمجمتى تنتزعنى من دفئك.

انزلق فاقدا الوعى....أفيق ورأسى إلى الأسفل ويدا تمسكنى من ساقاى ويدا أخرى تضربنى على مؤخرتى..

"مبروك ولد زى القمر"

أتذكر جنتى التى طردت منها.

بكل مافى من قوة أصرخ.

مخاض

عندما يرتجف القلم فى يدى.
لحظة ميلاد الحروف
أرسم صورتى واضحة جدا جدا وصورا أخرى با هتة جدا
أشعر بنهم القلم أرضعه أفكارى وحبله السرى لم ينقطع
أضحك من سذاجتى ومن خباثاتهم
أقطع حبله السرى من غفلتى
فيقضم صدرى بأنيابه
ويحبوا بعيدا
الحروف فى رأسى خلية نحل تطنن
لا أستطيع أن أهشها
ولا أستطيع النوم
وحينما تعتلى ملكتهم عرش عقلى
أحن إلى الشوارع أصنع مراكبى الورقية
وأقذف شياطين النهر بالحصى
وأنظر وجهى فى مرآةالماء وأطن....

" الوجع"

يتملكني إحساس بالضعف، أرتدي ملابس الحداد على الروح المشنوقة بالجسد المعتم الملبوس بالشياطين ..أتجرع كؤوس الآسى وأصارع آلام الساق المبرحة، أتشبث بالدنيا وأرقص على موسيقى الألم الحياتي المتجدد كبرعم نبات لم يبذره أحد.

تلك الشجرة الوارفة التي كنت أستظل بها تكلست وذبلت، وحبل الأمل الذي أشد به ظهري انزلق حتى قبض على عنقي فزادت عيناي جحوظًا، وشاب شعر رأسي.

أجري على كل السكك، وألفظ آخر أنفاسي بين أحضان امرأة ممصوصة متخشبة الصدر تجني آخر أنفاسي وآخر مليم في جيبي!

تتغامز هي والمرأة المفلطحة سيدة المنزل .

"شاب مسكين فى زمن الله به عليم".

أضحك كلما ترنح الجسد بين أجساد السكارى البهاليل المخابيل، أتحامل على ساقي المسكونة بالوجع وألقي

بجسدي في دوامة من الفوضى غير الخلاقة وأنام قتيلا بلا رأس.

وفي الصباح أستيقظ أبحث عن رأسى الملم أشلائها أفتش فى فراغاتها المعتمة عن لمحة أمل أوبارقة فرح فأجدنى نسيت كل الأشياء وكرهت كل الأشياء.

حبيبتى زهرة بيضاء لاأعرف لماذا تصر على الإرتباط بمخبول ..ملامحه مجنونة ورأسه فارغة، حتى موعدها نسيته ..لست متأكدًا هل أحبها أم أكره نفسي؟!

تلك المرأة الممصوصة لحست ما بقى من عقلى وكأنها شيطان تلبس جسدي.

أندفع إليها كلما أجهدني القهر أفترسها وكأني أقهر العالم في جسدها، وتمتص آخر قطرة من دمائي.

نهضت خارج غرفتي..

فتحت نوافذ قلبي ليدخله ضوء الشمس، أشم رائحة شجرة الياسَمين الوحيدة، التي تتأبط نافذة غرفتي، وبينما أمدّ يدي لأقطف زهرة؛ زقرق عصفور

"لماذا تصر على الموت؟"

تراجعت يداي، وكأن عصفورًا ينقر قلبي.

صورة حبيبتي مرسومة في خيالي فى تفتح كل الزهور، وثمة نسمات رطبة تدور حول عنقي أحسست وكأن جمجمتي مسكونة بالضفادع

..توضأت، وافترشت سجادة الصبر لأصلي واستعذت بالله من الشيطان الرجيم.

إستولت المرأة المأجورة على جمجمتي، تلبستني.

تطاردنى نظرات طبيب التأمين الصحى وهو يكتب على " علبة لبوس خضراء ثلاث مرات فى اليوم"

أحسست ضيقا فى صدرى ورائحة قذارة تفوح من فمى.

حاولت أن أتقيئ نفسى.

دلفت إلى غرفتى ووقفت أمام المرآة للحظات وثمة شيطان يتأملنى.

جلست أحتسى شاى الصباح وأخى الأكبر يتصفح جريدة يومية

قال وعلى وجهه إبتسامة كشروق الشمس:

- بعد الصلاة سنذهب لزيارة أهل خطيبتك.

أجبتة بالصمت وثمة أغنية هزلية تترددفى الراديو.

رأيت علامات الضجر فى وجهه .غرس وجهه فى الصحيفة متعجبا:

"ثرى عربى يتبرع بمليونى دولار لبناء حمام سباحة للكلاب فى بريطانيا"

شد انتباهنا صوت الراديو وأحدهم يقرأ نشرة الأخبار:

– مقتل أكثر من ألف عربى فى غارات اسرائيلية على غزة..

حداد عام فى بريطانيا لموت قرد من النوع النادر

ناولت أخى كوبا من الشاى.

– مقتل أكثر من خمسة جنود فى حادث إرهابى فى سيناء.

سكت المذيع وكانت أخر رشفة من الشاى مرة بطعم العلقم.

عاودتنى آلام الساق المبرحة. مرض غريب يهاجم أطرافى,يقضم ساقى اليسرى يشطرها من شدة الألم.

دخلت أختى وعلى وجهها ابتسامة فرح طفولى سلمتنى دعوة عرس تركها لى صديق.وقالت:

- نريد أن نفرح بك.

.لم يكن فى استطاعتى أن أبتسم

تسللت إلى غرفتى,تمددت على سريرى المتسخ وتمنيت لو أنام الى الأبد.

أحب النو م أعشقه لأنه يشبه الموت.

دائما كنت أنتظره ولا يأتى الموت مثله مثل الوظيفة الميرى لاتأتى إلا بعد انتظار طويل ودائما كنت أستيقظ ورائحة الموت تفوح من فمى.

الوجع وبعض البكتيريا التى لاتحب الحياة تنتظر لحظة خمول الجسد وتنهش فى لسانى وعظامى وأمعائى

أمسكت دعوة العرس فى يدى تأملتها وإرتديت جلبابى وانطلقت إلى الطريق وكأن عيونى مرمدتين ,بعض الناس ينظرون إلى ساقى المرتعشة ويمصمصون شفاههم .وبعضهم يضحك لقصرها وعدم ملائمتها مع جسدى.

اندفعت ناحية قرية صديقى وصورة أبى محفورة فى جمجمتى, صوته يطاردنى، إبتسامته المحيرة ودموع القهر فى عينيه

كرموه بعد إصابتة فى حرب 73 ثم نسوه.

كان يبكى كلما أتت ذكرى حرب أكتوبر

يتحسس زراعه المبتور ويبكى.

لم يكن جنديا عاديا ,حارب فى النكسة والإستنزاف وشارك فى حرب أكتوبر إنتصرت مصر وانهزم أبى.

أبى مات وهو يبكى وكانت أخر كلماته الأرض الأرض ,الوطن الوطن

مشيت فى طريق المقابر المتجة إلى القرية ,ألم يمزق ساقى ويجرنى إلى الوراء.

السكون يسيطر على المكان ورائحة الموت تصيب القادم بالرهبة

اشتد الوجع وكأنه غول يهاجمنى فجأة، أقاوم وأشق الطريق إلى عرس صديقى

أقاوم وقدماى تنغرس فى لحم الموتى الذى تحول بمرور الزمن إلى تراب، أقاوم السقوط . أتشبس بأخر ما تبقى لى من أنفاس.

أفتح فمى بصرخة مدوية تمتدإلى الفراغ.

يغطينى الظلام والصمت وعينا جدى تطل إلى من مقبرتة:

- **سلامتك يا ولدى.**

وقفت صامتا أمام مقابر العائلة أتامل شجرة النبق العتيقة جوار قبر جدتى لأمى وشجرة الصبار الشائخة أمام قبر جدى.

قرأت الفاتحة وعيون أبناء عم عزوز التربى ترقبنى وأيديهم ممدودة وأفواههم مفتوحة فى إستجداء.

- **هات الرحمة هاااااات.**

اشتد الوجع وكأن ساقى فقدت. ترنح الجسد,هوى على الأرض,تمرغ فى لحم الموتى ويداى قابضتان على الفراغ اصرخ بلا صوت.

همد البدن وأفترش الأرض والفم مفتوح عن آخره والعينان.

انسلخت من جسدى تماما وصرت خفيفا كفراشة

انطلقت أسبح فى الفضاء,تخلصت من جسدى والوجع.

وأولاد عزوز التربى يصرخون.

رحت أصعد إلى أعلى. سمعت صوت أبى ينادينى وأناس ماتوا من زمن بعيد.

نطرت وجه أبى لم يتغير نظر إلى وفى عينيه حزن:

- كيف الحال يا ولدى؟

لم استطع الإجابة, فقط تركت يديه ورحت أهبط أهبط.

جاذبية الأرض تشدنى بقوة.

أحاول التشبس بالهواء فأطبق يداى على الفراغ.

تركونى أهبط .أحسست عتامة الجسد وآلام ساقى المبرحة

أسمع صرخات أمى وإخوتى. أفتح عيناى بصعوبة.

الغرفة مظلمة بالكاد أتبين ما فيها ،نعش وخشبة غسل الموتى ودلو فارغ وطست كبير مملوء بماء عكر.

اليدان مربوطتان والرأس والفم والجسد ملفوف بقماش أبيض وأخضر

أشعر ألما فى مؤخرتى وكأن شيئا محشورا فى فتحة شرجى.

انفتح باب الغرفة واندفع إخوتى يبكون ووقف أعمامى أمام جسدى ورائحة الموت تفوح من المكان والمرأة الممصوصة

المتخشبة الصدر تنوح بشدة وأخى يصرخ فى النائحات أن يكففن حتى لاأحترق بصراخهن.

دخلت حبيبى, لم تكن تصرخ مثلهن, وضعت على صدرى طوق من الزهور التى أحبها,طبعت قبلة على كف يدى.

أحسست دموعها حارة ورأيت الدنيا كرة تركل بالقدم.

لفونى بعلم الوطن ووضعونى فى تابوت خشبى ولما حملونى تجاه المقابر أحسست بالفرح. شيئا واحدا كان يرعبنى.

أن يأتى أحدا من النصف المظلم من العالم ليسرق أكفانى وعلم الوطن..

الدركى

ألقى حمولته أسفل شجرة جميز عتيقة ,تأمل ما تبقى من بضاعة ,بعض أثواب من الدانتيل وملابس للأطفال..

أخرج سيجارة محشوة بالحشيش أشعلها وركن ظهره الموجوع إلى جذع الشجرة.

"ملعونة مهنة البيع والشراء ,طول النهار فصال ومناهدة وقرف"

ينفث الدخان الأزرق إلى أعلى فتغرد العصافير وتترنح طيور الغر السوداء التى تأكل ثمار الجميز بنهم غير عادى. يضع فص أفيون تحت ضرسه , يستحلب الأفيون ويزوم كجمل هده السفر والترحال,أخرج رزمة من النقود يحصيها بصوت مسموع:

"واحد.مالوش تانى. تلاتة.

أتم الألف قبلهم وضربهم فى جبهته

"الحمد لله جبرنا"

"ما أصعب البيع للرجال يقلبون البضاعة بالساعتين ولا يشترون أما الحريم نعمة واللى يكرهها يعمى بكلمة واحدة تحط اطخن امرأة فى جيبك"

ازداد تغريد الطيور وثمة نسمات تبدر حبات المطر الخريفى على وجهه.

أمسك ربابة صغيرة تخرج لحنا حرينا وراح يدندن:

"ياعين ياليل ياعين ياليل. أبوزيد أبصر عمل كيف قاله خلاص يابن غانم. يالرمح بالحربة بالسيف لازم نجيب الهوانم .

كان لصوتة نشيجا كوقع المطر.

تذكر حبيبته"زهرة"البنت الريفية والجسد البض الأبيض.

منذ سبعة شهور وفى اللقاء الأخيرجلسا تحت هذه الشجرة واسمعها قصائد من ديوانه الأخير"

فنفد كلامه إلى قلبها وسرى فى الشرايين ونفذت قبلتها إلى قلبه وعروقه واحتوتهماظلال أشجار البرتقال العتيقة, سلمته برتقالتيها وسلمها قلبه ولم يرغبا فى الفراق لكن أخيها ذالك الدركى القميء القزم أشاح فى وجهه ببندقيته واستضافه ليلة فى غرفة الحبس بدوار القرية وسلب ما معه من نقود وبضاعة , حتى حشيش المزاج وحذره من مجرد التفكير

فيها أو البيع فى تلك القرية , وأقسم أنه أبدا لن يزوجها لبائع قماش حتى لوكان أشهر من الأبنودي.

كانت الوان قوس قزح تترنح أمام عينيه وأطفال القرية قطار سريع,خلية نحل حاوطته يحدثون ضجيجا يتلقون المطربأيديهم وأفواههم يتسلقون الأشجار كسناجيب صغيرة يأكلون ثمارا طازجة مغسولة بماء المطر, راحوا يرجمونه بسيل من الثمار.

قول يا عم جابر والنبى تغنى أبوزيد الهلالى عمل إيه هو ودياب إبن غانم .

سالت الدموع بعينيه , حمل بضاعته وخيالاته موليا ظهره للقرية

يدندن.

"أه أه أه.هكتب على ورق اللبلاب الشوق يا حبيبى غلالالاب

وانا لى فى البلد دى أحباب... قفلوا فى وشى الأبواب

أه أه أه.

"أه يا حمامه يتيمه.. ملعون أبوه الغراب.. قتلنى إبن اللئيمه

لولاش يقولوا قليل الأداب.. هكتب ديوان من "شتيمه"

أه آه....

الشمس تومئ لليل بالدخول وبعض الغيوم تحدث برقا خفيفا خاطفا..

تسمرت أقدامه بالأرض وحيرة تراوده ,هل يكمل السير إلى محطه القطار ,أم يقضى الليلة معها حتى لو خسر حياته , أحس برغبه شديدة فى لقائها وراح يزوم وكأنه يتألم.

"لن يهمنى ذلك الدركى القزم الغراب الذى ينام بعد غروب الشمس فى آخر القرية..أعرف كيف أصل إليها..

البنت تعشقه تنتظر قدومه كل مطلع شهر متخمة بمشاعرالحب والهيام والخوف.

فكر قليلا يتأمل بضاعته..

هذه الأثواب الباقية هى نصيبها, سوف أذهب اليها ولن اكون جباناولن يهمنى ذالك الدركى.

تمنى لو يراها وأن يلقى برأسه فى صدرها.

هدأ من مشيته وكانت الأمطار تضرب الأرض بوهن تغسل الأشجار والشوارع والبيوت.

لن تكون خائفة كالمرات السابقة ولن يطاردنى ذالك الدركى الذى لايستطيع أن يحرس مؤخرته ,لابد أن تكون وحدها وسوف تفرش لى جسدهالاتمددعليه وأغرق فى العرق"

بينما كان يحلم بلقائها إزداد البرق والرعد والمطر راح يعدو

".لابد أنها سترتدى ثوبها الذى أهديته لها منذ سبعه شهور..كانت سعيدة وكان ثوبا جميلا وكأنه حديقة من الأشجار والطيور والورود..هذه المرة لن أتركها وحدها ,سوف أخطبها من ذالك الجلف الذى يحتمى فى بندقية أطول منه..نعم سأتزوجها وسوف تكون زوجة رائعة.

يحدث نفسه..يهزى وليل الشتاء يداهم الريف فجأة ويدفن القرى فى الظلام..

إبتلعته العتمة وقذفت به إلى حقول البرتقال خلف بيتها

أشعل سيجارة دخنها ثم دفنها فى الأرض ومن بعيد لمح ذالك الدركى خارجا من الدار فى إتجاه القرية

أحس بالبرد والخوف وأنه يحتاج قدرا من الشجاعة.

وضع فص أفيون تحت لسانه واتبعه بسيجاره محشوة والحشيش يلعب بالرؤوس

ويضفى على شاربيه بهجه مزيفة.

انتابه شعور بالفرح والنشوى , أحس قلبه يرفرف فى صدره وراح يضحك فى هستيريا يمشى متعثرا بين الأشجار.

أرعبه صوت ثعلبه تصرخ تبحث عن وليف.

فى الضوء الواهن الخارج من دارها وكأن أشباح تتحرك.

اندفع كاعمى بكومه من الزجاج الخرده, نصف زجاجة ضخم شج حذاءه ونفذ الى القدم,كتم صرخته إبتلعها.تألم بشدة حتى إنتزعها والدماء تنزف من قدمبه سيلا,أحس بالدوار وأن الدنيا تزداد عتامه

ولم يعد يرى كف يده.

أحس وكأن الحديقه تشغى بالأشباح وعيون كثيره تلمع فى العتمه وصوت كلاب تزوم ثم تزمجر فى تحفز , تقترب وكأن رائحة دمائه تجتذبهم , وصراخ رضيع فى آخر شهقة للحياة وقطط تتعارك, خبط رأسه بيده بقوة:

"ملعون أبو الحشيش"

أحس بالوهن والخوف, تكوم على الأرض والماء الدافىء ينساب فى سرواله.

ترنح محاولا الوقوف وكأن سكين إنغرس فى قلبه يخبط رأسه فى جزع شجرة يوهم نفسه أن ما يحدث مجرد خطرفات الحشيش المضروب.

الليل الشتوى فى الريف وبين الحدائق مرعب.

خيل إليه أن ذلك الدركى أمامه يجعرفى وجهه.

ظل يجرى ورأسه تصدم بفروع الأشجار حتى وصل إلى دارها والدم ينزف منه غزيرا.

فى اللقاء الأخير منذ سبعه شهور قبلته وهى تودعه:

"خذنى معك لو اكلها بملح"

ثم بكت بحرقة, وأقسم لها أنه سيعود وكانت دائما تنتظر عودته.

وقف يرقب فناء دارها والهواء يعبث بشعلة" اللمبة الجاز " فتحدث أشكالا من الظلال والأخيلة..

جلس القرفصاء مقلدا صوت ذئب ,لم يجد ثمه إجابة وتعجب كيف تفتح الأبواب والنوافذ فى هذا الليل ,عاودته الهستيريا

جر قدميه الملطختين بدمائه والتى كانت تتسيل بغزارة واقترب من باب غرفتها الموارب , كانت تبدونائمة فى

فراشها وقد انسدل شعرها الفاحم ليغطى صدرها وكتفيها وبدى صدرها ككتلتين من الضوء.

زلزله الرعب وثقب أسود فى جبينها العريض اللأبيض.

لم تعد عيناهاالخضراوين تفتحان وبقعة دم كبيرة أسفل رأسها .يبكى ثم يضحك ثم يبكى ويخيل إليه أنهما فى ملابس الزفاف وأنه يداعبها فتتصنع النوم يمرغ وجهه فى وجهها ,يدندن.

"أه أ ياحبيب القلب يا غالى

أفديك بعمرى ومالى

وغيرك فى الدنيا مالى"

وثمه كلاب تزمجر تتشمم الدم الذى لطخ أرض الغرفة تلعقه وتقترب فى تحفز ,تكاد تفتك به وثلاث خفراء يشهرون بنادقهم فى وجهه , يحملونه من زراعيه بينما أخوها ذلك الدركى القزم أصبح ضخما جدا كشجرة....

الوجه الأبيض

متعبا كنت .مستلقيا فى الغرفة الوحيدة التى استخدمها بعد رحيل زوجتى نور..كانت كل شيءفى حياتى ..كانت كل حياتى كان لها وجها أبيضا مستديرا وكأنه القمر عند الإكتمال أ نجبنا ثلاثة أولاد ذكور.

تعبت كثيراً فى الحمل والولادة وأصيبت أكثر من مرة بنزيفٍ حاد

عندما حاولت النوم لم يفارقنى وجهها الملائكى.ابتسامتها.حديثها نكاتها عراكها.حتى دموعها.

أحسست بروحها ترفرف فى المكان ووجهها فى كل ركن بالدار

ولما أغمضت عينى للحظات.

دوت صرخات فى أذنى فقمت مفزوعا .كانت الصرخات آتية من دار جارنا الحاج "صابر المصرى أ بو أنيسة"

أخرجت رأسى من الشباك :

"فيه إيه يا أبو أنيسه"

ردت البنت:

- "الحقنا والنبى .أ مى بتولد وتعبانة قوى"

..ساعتها أحسست بإنقباض غريب .

إحساس لم يفارقنى منذ سنين ..ذالك اليوم الذى لاأنساه أبدا..

كنت نائماً فى "الغيط "فى ظل شجرة توت عتيقة أغط فى نومٍ عميق بعد عناء حصد القمح الذى يكسر الظهر.

جاءنى ابن أخى..وكان شاحب الوجه مرعوبا ..

- "إلحقنا يا عمى ..عمتى بتولد"

فى تلك اللحظة فرحت وترأى أمام عينى وجهان أبيضان مستديران .وجه زوجتى ووجه المولود.

ظللت أجرى على الطرق المتعرجة كظهر الحمار الشموس .تسقط من يسير عليها بغير هدى

أ شق الغيطان إختصارا للطريق ..تدخل الأشواك فى قدمي الحافيتين ..حتى وصلت إلى الدار

نساء القرية يملآن الشارع ..وأنا اسألهن .قالت واحدة:

- "مسكين كان نفسه فى بنت"

.وقالت الأخرى:

- "مسكينة نور ..ضعيفة وهفتانة يعنى كانت لازم تحبل تانى"

عندما وصلت إلى الدار ..دفعت الباب بقوة .كانت صرخات زوجتى تهز المكان ..تزلزل القرية وتمزق قلبى

ولما دخلت غرفتها ..قبضت على يدى وهمست:

- **"هموووووت"**

الوجه الأبيض تحول إلى قطعة من الشمع الشاحب

قالت القابلة وهى تمسح دموعها ..وقد وضعت فوطة فى فم زوجتى:

- **"جزى على سنانك قوى ...ربك معانا هو القوى "**

كانت زوجتى قد أغمضت عينيها للحظات ..ثم فتحت عينيها تحدق فى وجهى وهى تقبض على يدى ثم قالت بصوت ضعيف:

- **"هموووووووووووووت"**

أ حسست بالعجز ودون تفكير صرخت بكل ما أملك:

- **"دكتور... مافيش دكتور"**

فى تلك الأيام كان الريف مهملا والمستشفى البعيد عن قريتنا خرب وكأنه بيت للبوم.

كان أخى يضرب الحصان بعنف ليسرع الخطى إلى المستشفى أملاً فى أن نجد طبيبا هناك.

مر الوقت ثقيلا والطريق طويلاً ومملاً.

وعندما وصلنا إلى المستشفى .كانت صرخات نور قد توقفت تماما

كانت الشمس فى السماء تميل ناحية الغروب . .ووجهها الأبيض مرسوما فى قرص الشمس

وفى غرفة الولادةكان الجميع فى صراع مع نقص الإمكانيات والوقت وصراعها مع الألم ..ولما فتح باب الغرفة ..قال الطبيب:

-" محتاجين دم بسرعة"

أهل القرية ..شمروا عن سواعدهم فى سباق عجيب ..دفعهم أخى وتمدد على السرير

- "خد الدم اللى يكفيك يادكتو ر..بس متسبهاش تموت زى عزيزة "

ثم انخرط فى البكاء.

تذكرت "عزيزة "زوجتة .كان وجهها أبيضا مشربا بالحمرة .فى العام الماضى ماتت وهى تلد فى نفس الغرفة.

كانت صرخات زوجتى قد زادت ...ثم هدأت.........ثم ساد الصمت.

نظرت إلى السماء. .واختفت الشمس تماما...

اكتوبر 1990 اكتوبر

قلبى مقبرة للحزن

الشبورة كستائر الدانتيل وثمة يمامات تنقر الأرض بدأب.

المقابر من بعيد كالجمال الباركة. أتسند عكازى أتحامل على ساقى التى تجرنى دائما الى الوراء.

قالت أمى إننى فى طفولتى مرضت بالحمى وارتفعت حرارتى

قالوا الولد بيسنن ولم يذهبوا بى الى الطبيب..كنت أصرخ صراخا مستمرا وأمى تلقمنى صدرها وتبكى.

بعدها لفوا بى أماكن كثيرة لكن ساقى اليسرى كانت تنمو ببطئ ودائما تجرنى الى الوراء، كنت أكبر ويكبر الحزن فى قلبى كجنين سفاح.

الحزن زاحم أشياء كثيرة. طردها جميعا وعشش فى القلب وأفرخ,حتى امى خطفها الموت فجأة وتركتنى وحيدا

كانت ترتعد وقد هدها المرض. دائما كانت بعد أن تفرغ من صلاتها تدعو لى.

" الاهى يابن بطنى يرزقك ببنت الحلال اللى تريح بالك خد من قلبى وصر"

لما جائها خبر موت أبى انكسرت كشجرة اقتلعتها ريح عاصف.

هدها الحزن فذبلت فجأة..تساقطت أوراقها وانسدت شرايين القلب.

وقفت على قبر أمى. وقلبى يرتجف.

"الله يرحمك يا ست الناس"

قالت وهى تستحم بدموع الحزن. .

"أبوك الله يرحمه كان نفسه يجيب ليكوا نجمة من السما"

أتذكر وجهها الأبيض والماء يقطر منه بعد الوضوء

"ربنا يوقف لك أولاد الحلال فى سكتك"

المرأة المتخشبة الصدر أ جدها فى كل السكك تطاردنى.. تلقى سنا رتها لتصطادنى ولما أقع فى سريرها تجلدنى بسيلطها.

"أنت ما ينفعكشى غيرى.. هى مين اللى ترضى تتزوج أعرج زيك".

أصب جام غضبى على جسدها .تنشب أظافرها فى لحم ظهرى وتبقبق كالأرض العطشى.

قالوا أنها قتلت زوجها العجوز وفتحت بابها للديوك الضالة مثلى.

أ قسمت لها أننى نويت التوبة وأننى أصلى ولا أريد ماءها العكر فهددتنى بالفضيحة وأنها ستبلغ ابن عمها صديق ظابط النقطة.

"يارب يابن بطنى ربنا يعوض عليك. ويرزقك ببنت الحلال اللى تريح بالك"

آه يا أمى.. دعواتك مثل ساقى العرجاء ولا إجابة.

الأولى نظرت إلى ساقى الذابلة وصرخت:

"بعد صبر السنين أتجوز أعرج"

غطت وجهها وتاهت ثم تزوجت قريبها العائد من بلاد النفط محملا بالهدايا.

الثانية قالت لأبوها.

"والله لو غصبتونى عليه لأموت نفسى"

ورفرفت بعيدا وبنت عشا وأفرخت وتركتنى وحيدا اجر خيباتى وساقى التى تجرنى دائما للوراء.

الثالثة بعدأن تورم وجهها من لكمات أهلها وتورمت عيناها من البكاء وبعد أن أقسم أبوها "طلاق بالتلاتة لتتجوزيه" وجدوها هامدة فى ترعة تواتى..

"الفاتحة لأموتنا وأموات المسلمين"

أ سندت ظهرى إلى قبر أمى وكانت الشبورة قد بأت ترتفع وتذوب والشمس ترسل أشعتها على المقابر.

آه يامى اشتقت إلى صوتك, دعواتك وأنتى تصلين الفجر كانت عكازى الذى يحمل جسدى المهدود.

وعدنى أحدهم بفرصة عمل. أ قسم وأكد أن الأولويةلأمثالى ..مرت شهور وسنين ولم يفِ أحدهم بوعد.

أحسست دوارا يطيح برأسى وكأن فى جمجمتى خلية نحل تطن.

آه يا أمى.. أ تمنى لو أستطيع أن أدخل الى قبرك.. أ لقى جسدى بين ذراعيك وأبكى.

أتمنى أن أموت الآن وأدفن بجوارك، فى قبرك فلابد أنه الجنة.

عم عزوز التربى يلكزنى:

- "صباح الخير يا صابر يابنى"

رحت أبكى وكأنى ما فرغت من دفنها إلا الآن

أ غمضت عيناى بشدة.. استلقيت وكأنى لم أنم من زمن بعيد

ما أفزعنى إلا حذائه الميرى الضخم وهو يصطدم ظهرى

- "هاتو ابن الجزمة دا".

أمسكنى أحدهم من عنقى.. هزنى بشدة.

- دا يافندم؟؟؟؟

والمرأة المتخشبة الصدر تهز رأسها وتبتسم فى خبث.

البحيرة1990

ست الناس

كانت تتوضأ بضحكاتنا وتصلى على ابتساماتنا وتدعو الله أن ننام قريرو العيون.

هى سيدة من أهل الجنة ،مات رفيقها فى عز الشباب فشابت ونذرت ما بقى من عمرها ليشب أشبالها ويصيرون شبابا.

كانت تكلم الطيور واليمام وتعشق القمر والوطن والغيطان.

تتحدث فى السياسة ،تشجب وتستنكر وتذرف الدموع .تصادق الحمام والأوز والنخيل وقطط الشوارع .

تعجن الحناءتحنى بطون الأرانب ورءوس البنات.

لبست أردية الحداد لموت عبد الناصر وزغردت فى أكتوبر عرس الوطن.

صلت بالليل ودعت للسادات بدوام الصحة وطول العمر لما أمر بصرف معاشا للأيتام والأرامل .

ورغم جوع عيالها بكت للفراق والدم المراق وحصار أهلنا فى ليبيا والعراق.

باعت واشترت كل شيىء.فجلا جرجيرا بصلا أخضرا .كى لاتبيع أرملة.

حفت أقدام وتشققت وخسف القمر ..إبيض الشعر وتساقطت أسنان وجفت شجرة كانت تظل الجميع.

كبرت فسائل النخل وعلت الدار ورفرفت حمائم وابتسمت عجوز وهى تبدر القمح للعصافير...

الخرطوم اكتوبر 1994

ذاكرة قط

أمشى فى الشوارع ,أتأملنى,التصق بالفاترينات واجهات المحال التجارية والبنات القطط يغمزن بعيونهن للجميع أسمع موائهن فى صدرى وخربشات عيونهن فى قلبى الكسير.

أهدهد العصافير فى صدرى وصوت أمى يتردد فى جمجمتى.

"إلاهى يا ابن بطنى يوعدك ببنت الحلال اللى تريح بالك"

أتذكر قطتى التى غضبت حين قبلتها عنوة,ثارت وخمشت وجهى واختفت.

أحبها لازال عشها دافىء فى صدرى .أكره هذا الذى احتواها فى بيته ومنعها من المواء ،حتى عيناها لم تعد تضيىءفى ظلمة بلكونتها.

روضها بنقود النفط وأطاعته يموء فى وجهها ،يقبلها عنوة ولا تغضب,فقط وهبتهتفاحتيها وسماء عينيها الرحبة وأهدته "قط "صغير يموء فى صدره.

أتذكر غضبتها ,ابتسامتها وحلمها بعش صغير يحتوينا ,طقطقات أصابعها فى كف يدى.

تصرخ العصافير فى صدرى يتردد فى أذنى صوت يمامة تنوح وكروان يبكى وثمة قطط تتشاجر فى الأعلى ,أشعر خربشاتها فى قلبى ,أقبض الهواء بعنف.

أكتب اسمها فى كف يدى وألوح للجميع.......

عصفور بلا جناح

كان صوتها ملائكي وكأنه يأتى من السماء

لأول مرة أتأكد أن التليفون كائن حى تتلوى سماعتة فرحة بصوتها .

نبتة "البوتس" ونبتة "البيفمباخيا" تسترقان السمع وتتهامسان وثمة عصافير قلقة تتقافز على فروع يسمينتها فى الشرفة

.قالت فى فرح طفولى:

- أحبك

حاولت أن أكون عاديا.أقلب رأسى عن معنى لما أحسه فى تلك اللحظة .شيىء أقوى مما يسمونة حبا .إحساس يصيبنى بالإندهاش.

أمسكت أصابعها تحسستهم واحتضن كفى كفها وابتسامة طازجة تتقافز على شفتيها.

قالت:

- "وكأنى فى حلم ..أخيرا سنحجز شقتنا "

ضغطت على يدى وعضت شفتها السفلى برفق:

"إيه رأيك ناخد تاكسى كى لانتاخر"

قالت ذلك وفى عينيها صخب.

نظرت فيهما غرقت وتهت وكأنى أسبح فى السماء وتأكدت أن البحر أمام عينيها ضيق ضيق جدا.

قالت فى فرح طفولى :

"بعد سنين الغربة سيجتمع الشمل "

أحسست طيورا ترفرف فى قلبى وكفها يضاجع كفى وأصابعها ترسم دوائرا على أصابعى ..

لما وصلنا إلى العمارة التى سنحجز بها شقتنا كان الزحام شديدا والناس فى بحر الشارع كهيئة طائرة ورقية جسدها أمام البناية وذيلها فى آخر الشارع ،

الهواء شحيح والشمس تجلد الناس بسياط حرارتها

بينما كنت أفكر فى كيفية الوصول إلى الرجل الضخم الجالس يتلقى طلبات الناس

كانت حبيبتى ترفرف بجناحى عصفورة .الفرحة أنبتت لنا أجنحة.رفرفنا معا وحلمنا بالعش الذى يجمعنا.

تدافعنا وثمة عصافير كثيرة تنقر فى باب البناية وفى أرض الشارع.

لما وصلت إلى ذلك الضخم القابع خلف مكتب فخم جدا قال فى استعلاء:

- "خلاص.كدة خلصنا "

رأيت فوق مكتبه كومة من العصافير الذبيحة والدم ينزف منها طازجا يغرق المكتب ويسيل إلى الأدراج

أحاول الهرب .أفلفص من الزحام وحبيبتى تصرخ تدفعنى

الرجل الضخم يغلق الباب فى وجوهنا .

اصطدم بالباب المغلق .اسقط .أنزف بغزارة.

أفيق وحقيبتى الصغيرة فى حضنى وحبيبتى تجر جناحيها تلملم ريشها المبعثر فى الهواء

....

القاهرة يناير2000

أحمر شفاه

فى كل صباح تقتحم المكتب بعطرها وكأنها هبطت للتو من السماء.

تتهادى بصدرها الرجراج البالونى والإستيريتش الملبوس تحت الجلد.

تلقى علينا تحية الصباح وكأنها تتأود..تلوح للجميع بكف يدها المشع فتأخذ بالألباب:

- صباح الخير

"سمير هلال" زميلى يعشق الصدور يلكزنى فى جنبى بقوة.يخترقها بعيون جنى.

تنفتح عيون الرجال عن آخرها فى صمت وهى ترش الإبتسامات على الجميع.

أختلس النظر تحت جلدها ،تنظر صوب عينى وتبتسم فى شبق يصيبنى بالتوهج وأظل طول اليوم أحلم بلقاء قريب.

دهشت عندما أقسمت أن شقتى رائعة جدا وأن غرفة نومى رومانسية جدا.

قلت لها أن الزهور التى أحضرتها رائعة جدا.وأن صدرها أروع من كل الزهور.

تهادت ترنحت وصهلت كمهرة برية لم تروض بعد.

عندما تخلت عن ملابسها قطعة قطعة انتفخت تحت جلدها عروق زرقاء

بدت لى كديدان طويلة أو جزور نباتات طفيلية.

دسست وجهى بين نهديها فتغلبت رائحة اللبن المعطون على رائحة برفانها.

شدنى الأحمر شفاه..فهممت بتقبيلها.ولما فتحت فمهاوجدتنى أسد

آنفى بسرعة وأفر إلى التواليت فى تقيؤ لاإرادى.

لملمت ملابسها بسرعة. بصقت وشدت الباب بعنف.

وجدتنى ممطوط فى سريرى أبكى كطفل.

القاهرة 1993

تحليقات طائر يتيم

أحدق فى دخان سيجارتى الباردة وفئران القلق تقرض فى قلبى

أراقب عينى أمى الصامدتين وطنين يخرج من جمجمتها ..تتملكنا الرعدة كلما ارتعد جسدها الضعيف .

نرفع الأكف بالدعاء فيتساقط جير السقف فى عيوننا.

نرفع وجوهنا إلى السماء بحثا عن سحابة رحمةأو غيمة شفاء لتسقط أمطارها على قلوبنا المذبوحة بالألم.

الجسد الضعيف الممدود على السرير ينتفض وكأن زلزالاَ يهز الغرفة .هزات الزلزال شديدة ومتتالية لاتكاد تتوقف.

تنهد الطبيب: "تيتانوس والسكر عالى جدا"

ازدادت الرعدة وارتفع الطنين من رأس أمى .فتهدمت قلوب وثارت فى رؤسنا براكين من الهزيان.

بينما يحدق الطبيب فى صور الأشعة المقطعية لرأس أمى أقسم للجميع أن جمجمة أمى مسكونة بخلية من النحل البرى.

فى نفس اللحظات تواردت أنباء عن وقوع زلزال يضرب مصر بقوة

وجاء فى موجز الأنباء أنة نتيجة للزلزال الذى ضرب ريف مصر فى القلب تهدمت خلية من النحل البرى من النوع النادروأن النحل قد فر إلى مكان مجهول.

وحدث شق فى الأرض ابتلع حديقة من الزهور والورود واقتلعت نخلة كانت باسقة تملأ الدنيا بثمرها وأن غدا سيحدث كسوفا كليا للشمس.

أمسكت صور الأشعة أدقق النظر فيها،أتفحصها تحت مصباح كهربائى كبير خيل ألى أننى أنظر فى مرآة.أرى صورتى واضحة جدا,

ولما أخبرت أخوتى بذلك أقسموا للطبيب أنهم شاهدوا فى صورة الأشعة صورة عائلية للأسرتنا.

تجمعنا حولها فى دائرة هى مركزها كانت ترتعد بشدة تطلب منا السماح واحدا تلو الآخر تحدق فى سقف الغرفة وتحدث أناسا ماتوا من زمن بعيد.

لحظتها أطفأت سيجارتى بدموعى وأدركت لماذا كنت كلما أقبل وجه أمى أشم رائحة العسل وطعم العسل

بكيت بشدة لأنى تأكدت أن ملكة النحل لابد أن ترحل.

داهمنا موجز الأنباء. أن الزلزال الذى ضرب "قرية الأخماس."أسفر عن دفن أسرة كاملة فى مقبرة جماعية للحزن وأن قوات الدفاع المدنى لم تعثر على أحياء .....

القطط

عاد أبى بعد أن دار على مستشفيات القاهرة دون فائدة المرض تمكن من جسده تماما.

نظر إلينا الطبيب قائلا

"ربوحاد وماء على الرئتين"

ملت على وجه أبى أقبله .صدره يعلو ويهبط فى سرعة وكأن قط متوحش يزوم فى رئتيه .نظر إلينا فزعا:

"روحونى البلد ...عاوز أموت بينكم"

همس الشيخ قطب الطيب فى أذن أخى

"بلا دكاتره .فقط اذبحوا له قط سمين يأكله"

ثم اردف قائلا:

- "قدموه له وكأنه أرنب محمر..أعرفه يعشق الدسم ..سيأكلة وسيشفى."

....

رحنا طول اليوم نطارد القطط .

فشلت كل محاولات الصيد.ولما حل الظلام جاء الشيخ "قطب الطيب "به وذبحه ثم أعطاه لأمى وكأنه أرنب قدمه هدية لأبى.

تناول أبى الطعام ...أكله عن آخره ونام.

ابتسم الشيخ قطب الطيب فى ارتياح:

"- غدا سيصحوا مثل الحصان"

فى المساء اشتد الظلام .أحسست أن الدار تشغى بالقطط ,تخربش فى الأبواب والنوافذ.تزوم فى توحش .

تملكنى الفزع دخلت إلى غرفةأبى أصرخ فوضع أخى الأكبر يده على فمى...

قرية الأحماس المنوفية1991

كفوف الدم

صوت المزلاج أنين سنين مكسورة، الكوة بالحائط المقشور الجير الباهت من وجع البرد الساكن فى الطين المعجون بالتبن .

شعاع النور المتسلل عبر الكوة يقتل أخر أنفاس الظلمة.

فى الركن العلوى بقرب الكوة تتناثر قطرات مياة وبعض طحالب. تتداخل حشرجة الظل المترنح عبر الباب بصوت زواحف وأبراص ملصوقة بالجير الباهت. تتصلب جدران الغرفة.

كفوف الدم المطبوعة بالحائط. دم أوزةعيد الأضحى البائدأو دم ديك أوشى به الهدهد عند صاحبة الدار فذبحتة قبل أن يؤذن.ديك شق عصى الطاعة.

يدخل ذاك الشبح الممزوق الثوب.يلقى بالفأس الملصوقة بعظام الكتف يكاد صقيع الجوع يتخلل جسده .

كوب الشاى المر آخر أمنية اليوم.

يتحسس كتب العقاد والمازنى على الرف الخشبى بعض تراب وزبل فئران.

ينظر بقايا الحناء على شعر الأم النائمة تحلم بعودة هدهدها بالخبر السار.

يترنح من ألم بالرأس..يتذكر قول الأم.

"عجين الحناءعلى الرأس يحمى من وهج الشمس"

يقبل كف الأم..تتلمس أصابعه الشعر الأبيض والحناء.تهيج بحار الدمع فى عينيه ،تزحف أقدامه وهنى عبر الرث المنثور.

تتحسس يمناه الموقد والكيروسين "عود كبريت" يصعق رعشة ظلمةأركان الغرفة.

أسند رأسه للحائط ينتظر الشاى.

فى الأيام الأولى فور تخرجه من الجامعة رقص رفرف بجناحيه كعصفور خرج من قفص الأسر.

وزع فرحتة على كل الأشياء الهداهد والعصافير والأرنة الحبلى والأم.

البنت الحورية .الوجه البض الأبيض.

الحلم ..الشقة والسيارة.

توسد جثة أحلامه ،أغمض عينيه بشدة كى ينسى كل الأشياء

أشلاء الحلم ..صوت الأبراص ..كفوف الدم.

تبدأ نيران الموقد تتوهج.
اللون الأبيض فالأزرق ثم الأحمر.
اللون الأحمر بدء دخان.

يزداد سعير النار،إحتضار براد الشاى الذى جف به الماء.
الدخان يتصاعدإلى سقف الغرفة يتشكل كهيئة إنسان.

رائحة الحناء المحترقة وكفوف الدم.طقطقة براد الشاى.
تفر الأبراص من الغرفة هاربة من وهج النار ورائحة الدم الطازج.

قرية الأخماس المنوفية 1999

ولـــــــد وبـــنت

البنت كقطعة بلور تكاد تضىء ولو لم يمسسها مكياج أو أصباغ

جلست تجذب الحاضرين من أعناق قلوبهم بابتسامتها الطازجة البكر.

الولد يتيم قلبه مكسور كعصفور هده التحليق فى ريح عاصف.

داهمته ابتسامتهاالمفاجئة.

كما داهمته مفاجأة اللص الذى سرق حافظة نقوده وبطاقة هويته ومفتاح الغرفة الوحيدة التى تأوية والتى تطل مباشرة إلى السماء

والشمس ومأذن القاهرةالفاطمية كمرصد للنجوم والطيور.

فى الصباح و قبل أن يغادر غرفتة أطعم عصفورتيه فى القفص المعلق على الحائط البارد.

لملم أوراقه الحبلى بالأحلام والقصائد التى لم تكتمل ثم خرج أمام غرفته يلوح للحمام الذى حلق فوقه وراح يدور حول غرفته.

رش القمح للحمام فهبط من السماء يرفرف وحطت واحدة على كفه المفرود بالقمح وراحت تأكل فى اطمئنان لتتخلص من جوعها وتخلصه من وحدته المفرطة. زيارة المريض واجب وذلك المريض يشعر أمامه بالضعف ويتذكر آلآم اليتم التى لازمته منذ الطفولة.

فهو لم يرى والده أبدا ولذالك كلما رآه ممددا فى سرير المرض تنتابة رعشة ورغبة فى احتضانه وتقبيل رأسه.

كان من لحظة إلى أخرى يسترق السمع لصوت البنت . يسترق نظرةإلى وجهها الخجول الناعس الذى يشبه القمروهى تقدم له واجب الضيافة

....

فى المساء وقف أمام قفص العصافير يتأملهم كانا يتلاغيان يطعم كل منهما الآخر فم بفم كقبلة طويلة وحارة.

رفرف حول القفص وتاه فى شعر البنت الأسود المسدول على كتفيها الممتد فى استحياء إلى صدرهاالأخضر.

وقف يتأمل صورة أمه فى البرواز المعلق على الحائط.

دمعت عيناه، وضع قطرةالحساسية فى عينيه،جلس حائرا

أحس بها تربت على كتفه

"ربنا يوعدك ببنت الحلال اللى تريح بالك يا ابن بطنى "

البغل والإبريق

ولأنه أحس بحريته برطع وطاح ولم يترك برعما إلا أكل منه ولا بئرا إلاشرب منه.حتى أنه لم يدخر شيء ،نفد الطعام ونضب الماء

ولما جاء موسم الحصاد هده التعب.

أ صابه الجوع بالهزال بحث عن مكان ليختبىء فيه .

وسوست له نفسه الأمارة بالشروعقله الممسوح كعملة قديمة

أن يدخل فى الإبريق ليختبىء من قدره المحتوم.

أ وهم نفسه أنه حصان وأنه لايوجد فرسان فى هذا الزمان .

لم يستطع الولوج داخل الإبريق ولم يتحول إلى حصان

لكنه الآن يستطيع أن ينشر غسيله القزر على حبل مشنقة وان يتسلق سلما مرسوم على الحائط...

إعـــــدام

لما تفجر صمت الليل البهيم عن أشكالهم الخرافية وأيديهم الملطخة بالسعار وعيونهم المفجوعة للفرجة ..قبضوا عليه

اغتصبوا أوراقه وأقلامه واندفعوا به إلى الميدان ..الحشود تتزايد وكأنه يوم الحشر.

أى حشر هذا .

أ يحشر الناس يرقصون ويتمايلون على نغمات الطبل البلدى ؟؟؟.

يدفعونه ,تتحرك قدماه بفعل إرادتهم ,يصرخون فى أذنيه

تفرس فى الحشود الراقصةعلى أغنية هزلية كلماتها تدفع للقتل.

جروه بغل وحشى وقائدهم ذلك الجلف الضخم يشر إليهم ليسرعو فى إعدامه.

المشنقة تهم به .لكنه يأبى.

لايبكى خوفا من الموت ,فقط عيناه تبكى فراق حبيبه عمره.

الرقص والصراخ الهستيرى يزداد.

بينما وقف هو تحت الخشبات الثلاث يرقب ذلك الحبل المتدلى

الناس فى الميدان يرقصون ويهتفون فى جنون.

أدخلوا رأسه فى حبل خشن وكأنه صنع خصيصا ليزبحه.

أحكموالحبل على رقبته.

وقعت عينه فى عين كبيرهم الذى علمهم الرقص ,نظر إلى عمائم الشامتين البيضاء والسوداء ولحاهم التى تنقط بالغل.

أحس بتفاهتهم وتفاهة تلك الحشود.

أغمض عينيه عن نفاقهم وريائهم مسح وجهه بعلم الوطن,

صرخ كبيرهم وهو ينتزع منه العلم ويسلمه لظابط أمريكى :

- **"الله اكبر ,نفذ"**

لما دفع أحدهم الكرسى من تحت قدميه شده الحبل للأعلى وارتفع حذائيه فوق رءوس الجميع......

قزم

ارتفع منسوب الماء فى النهر بشكل فجائى وراح الماء ينحر فى الجسر بجنون وأهالى القرية فى حضن الجسر ينظرون إلى النهر فى ترقب.

أن يمهلنا حتى نحصد محصول الذرة الذى مازال لبنا

تلونت المياه باللون البنى واندفعت تملأالترع الفرعية عن آخرها وكان خفراء الرى يجرون على الترع خوفا من إنهيارها

وكنا نجرى على السكك نطارد أسراب الناموس التى تطن فوق رؤسنا وأبى يسير على حافة "ترعة تواتى "يضرب منجله فى الحشائش فينغرس المنجل فى "قراميط السمك " التى فى حجم الأطفال الصغيرة.

"القراميط "فى موسم الفيضان تتعارك فوق الحشائش وتتقافز فى فرح صبيانى وكنا نتقافز كلما ألقى أبى إلينا بصيده،

كانت بيوت القرية تمتلىء بالشواء ووجه أبى كان يمتلىء بالبشر والفرح.

الآن جفت الترع امتلأت فئران وثعابين وسحالى ،مياة الصرف قتلت كل الأسماك.

حتى النباتات والناس أصابها التقزم.

دخلت إلى غرفة أمى .تأملت صورتها فى البرواز القديم .كانت تبتسم.

فتحت الدولاب أتامل ملابس أبى التى مازالت معلقة أخذت واحدة إرتديتها .

كانت واسعة جدا، نظرت وجهى فى المرأة وثمة قزم يتأملنى....

العصافير

في قريتنا التى تعشق النيل فيعانقها من الناحيتين عند طرفها الشرقى يمر فرع رشيد وعند طرفها الغربى يتأبطها الرياح البحيرى .

الأخماس واحة للحب والألفة منذ زمن الإقطاع وهم مترابطون

لم تكن ثمة مدارس أسمنتية قد ظهرت وكنا فى البدء نتعلم القرآن فى كتاب القرية .

ألف رحمة عليك يا شيخ إزحمد"اسمه الحقيقى السيد أحمد وشهرته الشيخ ازحمد"كان قرأن يمشى على الأرض رحمه الله".

فى مدرسة قديمة البناء كنا نفترش الحصير يأكلنا برد الشتاءالمتسلل من النوافذ القديمة المبقورة البطون والأرض المبللة بالنشع.

فى أيام الفيضان يتجمع أهل القرية فوق "جسر الأخماس "الممتد المزدحم بأشجار التوت العتيقة يرقبون ارتفاع المياه فى النهرويرقبون كيزان الدرة التى ما زالت لبنا ويدعون الله أن يمهلنا النهر حتى نحصد المحصول .فيأتى

الفيضان فجأة ويندفع الماء ناحية الجسر الأول، فيجتمع الأهالى "لتمليص "الدرة على الواقف ويحاولون إنقاذ ما يمكن إنقاذه من المحصول وكان النشع يوحل المدرسة القديمة ولما ينحسر الماء

وتخضر الأرض بالبرسيم والقمح والفول الأخضر

نعود إلى المدرسة نحاوط عم "محمودأبو رضوان "بائع العسلية "واليوسفى السقط "وفى الفسحة نفر إلى "السبعة " مقابر القرية نتسلق أشجار النبق الكبيرة نملأ بطوننا وجيوب حقائبنا المصنوعة من القماش أو شكائر السماد الفارغة.

ولما كنت أهرب من المدرسة أرى الحزن فى عين أبى .

كنت أحبه وأكره هذا الحزن الذى عشش فى عينيه .

فى أمشير يشتد البرد فندخل الفصل فنجد بعض أقراص الحلوى "الفندام" منثورة على حصير الفصل وبعض العصافير

كل يوم وقبل الطابور يتسلل ناظر المدرسةإلى الفصل ليأكل الحلوى ويحذرنا من تناول أى حلوى نجدها.

حبلت قريتنا بالحكايات

يتسألون من يلقى الحلوى للأطفال وللعصافير؟

الخفراء بنادقهم مشرعة ,يدورون حول المدرسة يتهامسون.

ربما لص ,ربماجاسوس لعمدةمن عمد القرى المجاورة يريد أن يسمم اطفال قريتنا

......

قبل طابور الصباح تسللت إلى الفصل ,كانت بعض العصافير تحوم وفجأة أمطرت النوافذ بالحلوى لملمتها وأكلت حتى الشبع ولم أمت ولم يصيبنى النوم.فقط نلت علقة ساخنة عقابا من ناظر المدرسة الذى كان ابنه يبكى

....

انقطعت الحلوى .رأيت الحزن فى عيون العصافير والأطفال رحت أبكى لأبى

ضحك وغمز فى يدى بخمسة قروش قائلا

إذهب واشترى كيس فندام ووزعة على العيال

همس بائع الحلوى "عم محمود أبو رضوان "قائلا

- مبروك عقبال السنة الجاية.

رحت أجرى فرحا أخترق السكك والعيال يتجمعون حولى كخلية نحل نعبر الغيطان فى فرح صبيانى لم أدرك أن بكيس الحلوى ثقب وأن جميع العيال يأكلون الحلوى

فرغ الكيس تماما ولما وصلت إلى أبى كان غارقا فى العرق مشمرا عن ساعدية يبدر القمح لنا وللعصافير .

لوحت له بالكيس الفارغ .نظر إلينا وابتسم......

حمار

همس الشاب أريد كيلو خيار وكيلو بطاطس وكيلو فول حراتى.

أحس بخيبة أمل وهو يفاوض البائع على الثمن لقد خدعه البائع الغشاش فى السعر ولم يمكنه من انتقاء حبة واحدة من الحبات التى أعجبته.

أدار ظهره ورغب فى أن يبصق .لكن امرأة سمراء ممتلئة تقطن قباله كانت على مقربة منه.

إبتلع البصقة وفكر فى جسد المرأة البض للحظات

المرأة أشاحت عنه فأحس بخجل

المرأة بصقت ,أحس بخيبة أمل

صفعه أبوه على وجهه بقوة:

أين الخيار؟؟؟-

هز رأسه وقال بصوت خفيض الأسعار نار.

صرخ فيه والده زاجرا إياه:

"البرسيم كتير ارمى برسيم للحمارفهو انفع منك

قبض على كتف زوجته.دفعها إلى داخل الغرفة وأغلق الباب.

تلك الرائحة

فى الصيف تحصدنا الشمس وعندما تتوسط السماء نهرب من وهجها إلى أشجار التوت الوريفة نفترش الأرض ونسلم أجسادنا للنوم.

كان الصراخ عاليا أقلقنا ,جرينا إلى القرية وكان الصراخ آتيا من دار "سلام أبو أنيسة "ذالك الرجل النوبى الضخم الذى جاء إلى قريتنا ليعمل سائقا لأحد أثرياء القرية.

اشترى بيتا واسعا وتزوج من خالتى "أنيسة "التى كانت تعمل فى مستشفى فى المدينة

وبعد أن تزوجت لم تنجب .

فصارت تعشق كل أطفال القرية ولذلك نسميها خالتى أنيسة لأنها كانت دائما تحنو على الجميع.

ولأنها كانت تصغر زوجها كثيرا كنا نسميه سلام أبو أنيسة.

كانت خالتى أنيسة تصرخ وتستغيث .رحت أنادى وكان صوتى يرتد إلى الحوائط الطينية الوطيئة

جريت إلى أبى مرعوبا

وأخبرته أن سلام أبو أنيسة يقتل زوجته وأنها تصرخ ولاأحد من القرية يسعى لنجدتها.

بانت أسنان أبى وهو يضحك ..ثم واصل ضرب الأرض بفأسه

أخبرته أن يذهب لينجد خالتى أنيسة كى لايقتلها ذلك النوبى الضخم .نظرإلى وراح يبتسم.

وفى المساء وعند عودتنا مررنا بدارسلام أبو أنيسة "الذى خرج من داره وهو يضحك وقد ارتدى ملابس بيضاء ورائحة حلوة تفوح من ملابسه .وقد لف رأسه بعمامة بيضاء كبيرة

همست فى أذن أبى

"شكله موت خالتى أنيسة"

".ضحك أبى بشدة قائلأ "لسلام أبوأنيسة

"ياراجل يا فضحى ..إتلم شوية جرستنا فى الحتة"

وراحا يضحكان.

دلفت إلى الدار وجدت خالتى أنيسة تبتسم شدتنى إلى صدرها

احتضنتنى وراحت تقبلنى كعادتها كان وجهها كشمس تضيء وعلى كفها نقوش الحناء.

وددت لو أنام فى صدرها لأن رائحة الصابون المستورد كانت تغمرنى....

الجمل والنخلة

قالوا لنا أن الجمل تسلق النخلة..صدقناهم ولم نسأل يوما عن الجمل ولا عن تلك النخلة.

فى زهوة الشراب وفى ضوء قمر صناعى قال أحد زعماء العرب أنه يعرف مكان تلك النخلة وأقسم أن آدم عليه السلام هو من غرس بذرتها وأن والديه قابيل وهابيل سقوها وإستظلوا بها.

فى برنامجه التليفزيونى الشهير ابتسم أستاذ التاريخ والخبير الإستراتيجى قائلا:

"أن هذا الجمل هو من حملوا على ظهره تراب حفر النيل وأنه هو نفس الجمل شارك فى حفر البحر الأحمر وأنه جرح أثناء الحفر فسالت منة الدماء حتى أحمر ماء البحر ولذلك سموه البحر الأحمر

وأضاف أن هذا الجمل هو أبو الجمال العربية الأصيلة كلها .

وأكد أن تسلق النخلة شيء هين وبسيط بالنسبة لإنجازات الجمل. تجمع الناس من كل جنس ليشاهدوا الجمل والنخلة

بحثوا فى كل الأقطار العربية عن الجمل فلم يجدوه.

وبحثوا بين كل النخيل عن نخلتهم فلم يجدوها فقط بعض النخيل المحترق وابتسامة ذلك الخبير الإستراتيجى الصفراء الزائفة

الذيول

اللافتات تملأ الشوارع..على الأسوار .فوق الأشجار

"انتخبوا الباشا الأمور ...رجل البر ...رمز الطرطور"

أنا لاأحب الإنتخابات..لكن صديقى قريب ذالك المرشح أصر أن نذهب ولو للفرجة.

القرية فى عرس..الشادر منصوب..والموائد ممدودة..والأفواه النهمة مشغولة بالمضع والطحن.

جلس ما يسمونه الباشا منفوشا كديك رومى بارما شاربه ومأمور المركز جالس بجواره منتفخ البطن فاغرا فاه كالمخموروالخفراء الدركيون يحملون بنادقهم يطلقون أعيرة نارية فى الهواء ابتهاجا بالباشا يهتفون ويجعرون.

"الطرطور الطرطور احنا نحبك يا طرطور"

يتردد صدى صوتهم يرج القرية .

"طور طور طور"

اعتدل الباشا يجعر فى مكبر الصوت مؤكدا للحاضرين أن أصله يمتد إلى الملك رمسيس الأول وأن جده الأكبر هو الذى بنى الإسكندرية وجده الحادى عشر هو الملك مينا موحد القطرين

وأنه وهو فى الجيش هو الذى دمر خط برليف وأن والده هو الجندى المجهول الذى بنوا له نصبا تذكاريا وراح يوزع عليهم وعوده ويجهز ضباطه وجنوده.

وراح يردد أنه خيار من خيار من خيار وأنه سيشق نيلا جديدا بعيدا عن إثيوبيا وأنه سيبنى لهم سدا عاليا جديدا فى البحر المتوسط.

وأنه سيعمل جاهدا لتحرير فلسطين .

أهالى القرية يتثاءبون ويتمتمون

وضعت أصابعى فى أذنى كى لاأسمع لكن رائحة فمه أرغمتنى وأنا فى أخر الجالسين أن أسد أنفى بيدى

ولما انتهى الرجل الباشا من حديثه أمسك رزمة من النقود يوزعها على بعض الحاضرين الذين راحوا يهتفون

"عاش عاش الباشا عاش الطرطور لا بلاااش"

كان صديقى يضحك بهستريا وقد استدعى مشهدا من فيلم اللمبى والراقصة تعطية نقود جر النقطة قائلة :

- "خذ ارميهم عليا وأنا بشطح "

بعض العيال يضحكون ..يلصقون للحاضرين زيولا ورقية.

انتابتنى رغبة فى البكاءخبأت مؤخرتى بيداى وفررت من المكان....

إصحى يا نايم!!!

دفعه السجان داخل الزنزانه..سقط على الأرض مصعوقا لايرى الاظلاما قاتما..تتحسس يمناة الأرض اللزجة. رائحة البول تملاءالغرفة المقبضة كقبر..نظر إلى سقفهاالمصبوغ بالسواد ومياه الرشح ..أحس بالإختناق وكأن حيطان الغرفه تنطبق على اضلاعه .نظر إلى مصدر الضوء..كوة صغيرة بالحائط .يدخل منها الضوء كالسيف البتار.

حدق جيدا فى سقف واركان الحجره.رجل نائم فى ركنها. ينطلق من أنفه "شخير"كبقبقة الجمل، .تعجب كيف يأتى النوم فى هذا القبر.

جلس على الأرض متقرفصا ..متشرنقا على الأرض المبلولة بالبول والروث وأشياء أخرى لم يعهدها ..انتابته نوبة من الغثيان والقرف ..تقيأ ،تحسس جيوبه باجثا عن سيجاره.لازال فحم "النرجيله" فى جيبه .أخرج سيجاره وأشعلها..ثم فعصها فى الأرض ..أشعل أخرى وراح يدخن فى شراهة غير عادية..عاد بذاكرته إلى الوراء .

حادث القطار الذى قتل فاطمه زوجةاخيه عبدالقادروقتل نساء كثيرات فى قلب السوق..

يومها لم يكن صابر هو نوبتجى التحويله ..كان بالسوق..وقف فى وسط المزلقان يصرخ فى الناس يخبرهم أن القطار السريع قادم وراح يصرخ دون جدوى والبائعات يفترشن طريق القطار

....

بعد هذا الحادث ظل اهل القريه يقيمون سوقهم كل جمعه فوق طريق القطار وكأن شيئا لم يكن.

بينما صابر فى ورديته وفى الثامنة صباحا وقف يتأمل السوق المزدحم وانتابته رجفة وخوف ..إحساس يصرخ فى داخله .وكأنه اشتم رائحة الموت تحلق فى المكان وتتكرر امام عينيه صورة زوجة اخيه غارقة فى دمائها تحت عجلات القطار الذى شطرها الى نصفين

أحس بالدم يندفع إلى رأسه فى قوه..اندفع ناحية المزلقان يصرخ محاولا إبعاد البائعين عن طريق القطار ..يصرخ:

- "يا ناس ابعدوا عن طريق القطر ..كفايه اللى راحو "

سال الدمع من عينيه وسمع لصوته نشيجا مكتوما وهو ينظر إلى السوق..يمسح الأرض بعينيه مكان الحادث حيث بقايا رماد الدم المحروق على القضبان ..

قال الشيخ "قطب "المجزوب وهو يربت على كتفه :

- "معلش يا صابر يا ولدى ..مقدر ومكتوب "..

يصرخ :

- "مقدر ومكتوب الناس تموت تحت عجل القطر ..يفرمهم زى الكلاب ؟؟

- "معلش يا ولدى شغلك وأكل عيشك والبركة فيك أحرس القطر يا ولدى واحرس الناس ..الناس هزمها اكل العيش "..

- "خايف عينى تغفل شويه والقطر يقطع الناس تانى"

..جلس صابر فى غرفه التحويله يرقب حركه السوق والمزلقان ..الزجام شديد وقضبان القطار مرصوصه بالبائعين والمزلقان مزدحم بالسيارات التى تعبر من الجانبين

..ينظر الدخان المتصاعد الى سقف الغرفه..ينتظر براد الشاى ..يسمع طرقا بالباب ..وحين فتح، اندفعت من الباب إمرأه يكاد وجهها يقطر دما ..حملق فيها مدهوشا..فرحا ..

- "تنشكى فى قلبك يا بت يا "فردوس" انت إختفيتى فين ؟؟؟..

.تندفع إلى صدره ..تزوم كقطةبرية جائعة ..

- "وحشتنى يا سى صابر"

أحس باشتعال اشواقه القديمة أخيرا محبوبته بين يديه، أحس رغبة جارفة تشده اليها ..نسى السوق والضوضاء ولم يعد يسمع سوى دقات قلبها ..

القى الصفاره جانبا..خلع سرواله فى فرح طفولى ومرت لحظات صمت رهيب وهو يفتش عن فحولته ،وكأن الدم تجمد فى عروقه يتصبب عرقا ورعشة ترج جسده ..لبس السروال وغطى مؤخرته وهى تضحك ..

- "شكلك عجزت يا صابر"

دفعها عن صدره..أحس برغبة فى التبول ..التقم صفارتة وجرى ناحية الباب.

قفز خارجا من الغرفة، نظر ناحية السوق فى قلق ..أحس مثانته ستنفجر ،دخل الى دورة المياه ليفك حصره أحس حرقان شديد فى "عضوه".صرخ..

..كانت صفاره القطار مباغتة وسريعة والناس يصرخون "الإكسبريس وصل ..القطروصل "

والشيخ قطب يصرخ :

- "اقفل المزلقان يا صابر،صفر يا وله القطر هيقطع الناس "

صابر يجرى كالمجنون يصرخ فى الناس أن يبتعدوا عن طريق القطار..

اختلطت الأصوات وصوت عجلات القطار الذى ولى تاركا ورائه فوضى من القتل والدمار.

....

أغمض صابر عينيه ..هز رأسه بقوة غير مصدقا ماحدث ..قفز

يضربحائط الزنزانة بكلتا يديه ...يصرخ:

--"انا برىء الزنب مش زنبى ..هو أنا اللى حطيت السوق فى سكة القطر" ..وراح يبكى بصوت مسموع

.إستيقظ الرجل النائم بالزنزانة محدقا فى وجه صابر قائلا بلهجة صعيدية :

--"إهدى يا ولدى ..انت من ساعة ما دخلت المخروبة دى وانت بتبكى ..اية السجن للرجالة مالك خرع كده؟؟؟ "

اقترب من صابر يربت على كتفه :

.- "قلبت عليا المواجع .كفايه ..نام وبكره يحلها ربنا"

سادت لحظات من الصمت وكل منهما يحدق فى الآخر ..قلب صابر فى جيوبه وأخرج علبة سجائر وأشعل واحدة وناولها للرجل وأشعل أخرى وتصاعد الدخان كثيفا إلى سقف الغرفة.

قال الرجل الصعيدى وهو ينظرالى الحائط:

- "شايف يا ولدى ..كل اللى مكتوب على الحيطان دة زكريات ناس اتظلموا قبلينا ..برغم الضلمة كتبوا وعبروا عن معاناتهم..الإنسان ده مخلوق عجيب"

.صابريحدق فى الحائط ويبتسم إبتسامة حزينة:

- "اذا كان رب البيت بالدف ضاربا ..فشيمة أهل البيت الرقص"

ثم اردف :

- "يعنى لو الكبير عيطبل الصغير يرقص ..الفساد بيجى من فوق أكبر منى ومنك"

قال صابر :

- **"احنا أضعف من زجاج لمبة الجاز والفساد زى القطر بيدهس الضعيف".**

الرجل الصعيدى يزوم قائلا :

- **"نصرخ ..نصرخ ونسمع صوتنا لكل الناس "**

وصابر يبكى بصوت مكتوم:

- **"فقدان الأمل بيخلى الناس بكم وعميان"**

ثم نظر ناحية الأرض وأخرج قطعة فحم من جيبه وكتب على الحائط بخط كبير.

حكايات من كتاب النحو...

1 - فعل ماضى.

.....حافلة ...اتوبيس....كان ذلك ظهرا، والسائق الذى شدعلى رأسه منديل محلاوى كالح يقود بحرية ماجنة.

يجعر فى الراكبين أن يسرعوا فى الصعود أو الهبوط ويحذرهم من وجود "نشالين"

تنزل سيدة عجوز وهى تستغيث:

- **"حاسب يا بنى علشان انزل فى محطتى "**

المحصل يصرخ للسائق:

- **خلصنا يا اسطى "ماضى" نزلها**
- **يزوم ،يدفع العجوز أمامه حتى سلم الاتوبيس يدفعها فتسقط فى بحر الشارع وقد انكشف شعرها الأبيض المخضب بالحناء.**

المحصل يصرخ:

- **"دوس يا اسطى ماضى ..تأخرنا"**

السائق يضحك تضغط قدماه على دواسة البنزين فيندفع الاتوبيس مزلزلا الشارع وكأنما يفر من شيءما..شيء يترقب.

والسائق يقسم للراكبين أنه تأخر.

المحصل "يجعر" يركل الناس فى مؤخراتهم.

تتسع عيونهم ويسيل العرق الصيفى ليلجمهم ويرسم لوحات من الدهشة على الوجوه المتعبة وكأنهم تدربو على الصمت من زمن بعيد..

المحصل يصيح متسائلا:

- **من الذى لم يدفع؟؟؟**

ينظر إلى ساعته :

- اسحب شويه يا اسطى "ماضى" ..تأخرنا

تندفع الحافلة بشدة..تنحدربشدة

تنحدر وتنحدر .

صراخ وتدافع،صوت ارتطام رهيب. صمم ...صمت

أقلب جسدى ، أتحسسه، أتأكد من وجودى....يتحسسون أجسادهم،مؤخراتهم التى تنزف بغذارة وأقفيتهم....

المحصل تتلبسه دهشة .يزحف وقد كسرت إحدى ساقيه يصرخ .

اندفع الناس فى محاولةلانقاذ السائق الذى انعجن نصفه السفلى بلحم الأتوبيس...

يفتح فمه المملوءبالدم ويشهق:

.........لقد تأخرنا............

2 - مفعول به

...فى طفولتى ولما شهدته يضرب والدتى بغل وحشى سألتها عن الموت..لماذا سرق الموت أبى..؟؟

مسحت دموعها وأقسمت أن أبى رغم أنهم دفنوه أمام عينيها ...أنه لم يمت وأننا نحن الميتون .وأفهمتنى أن الموت هو مفارقة الروح للجسد فبكيت كثيرا لموتى المبكر.ولما كبرت أحسست ضعفا فى بصرى ، أمشيى بين الأحياء كالأعمى

همس الشيخ "قطب الطيب"

"اعمل لدنياك كأنك تموت غدا"

فتغيرت خلقتى واقشعرت ملامحى، فقتلت نفسا وسرقت مالا وارتكبت فاحشة وخرقت السفينة.

ولما فاض الطوفان أعطونى ورقة مختومة بأنى أنهيت دراستى وهذا صك حريتى.

فوجدتنى مكبل بسلاسل أجر هزائمى كأعجاز نخل خاوية.

همس كبيرهم الذى علمهم السلب :

- "ألف مبروك ستعمل فى منجم الذهب".

ولما كسرت نظارتى الطبية أدركت ضعف بصيرتى وأن الناس ضعيفة أبصارهم وبصائرهم أيضا ،يفرحون بالذهب وهم لايدركون أنهم يعملون بالمنجم القّذر جدا "حمالون"

3 - نائب فاعل

الشوارع تشغى بأفراد الشعب احتفالا بالباشا نائب الدائرة.الوزيرالمبتسم.يحملونه على أعناقهم .يهتفون.

"عاش عاش اللى احنا من غيره مانسواش"

الدركى يصرخ فيهم :

حبة من نظام يا أوباش"

يهتفون ويزحفون محتفلين بنائب دائرتهم الذى سيفعل كل شيء يطلبونه .يصلون بالوزير إلى قصر الملك..

الوزير يودع الجموع .يعدهم برفع مظالمهم إلى الملك وأنه لايهمه إلا مصلحة الشعب.

...الملك ينتزع شعر رأس الوزير شعرة شعرة، الوزير يتألم ..يتأوه لكنه يبتسم أمام الملك ويعده أنه سيجبى مال الشعب وأنه سيضرب الشعب بيد من حديد ..

****

الوزير يخرج إلى الشعب مسلوخ الرأس..ويعلن غضبه على الشعب فقط لأنهم يتهامسون ..أن وزيرهم "أقرع"

دوائر سوداء

أقسم لها أنها أول أمرأة فى العالم وأنه ثمة علاقة بين عينيها والبحر.وأن اليوم هو أول أيام حياته..

أحسدت بالخدريسرى فى عروقها حتى وصل إلى كل أعضائها فرفرفت كعصفورة وتحركت على الشاطىء كأنثى بطريق تبحث عن مكان تبنى فيه العش .

بنت من رمال الشاطىءبيتا وباضت فيه أحلاما ورديه .

جمع لهابعض أصداف البحر

أخبرها بجوعه فأحضرت طبق به بعض التفاح الطازج

أكل ..حتى أنها أطعمته تفاحتيها.

،ضغط يدها الصغيرة فى كفه وراحا يتقافزان على الشاطىء فى مرح صبيانى و يرش جسدها بالماء فتصهل كفرس برى تشده إلى الماء فيرقص كمهر يافع

فى حر الصيف وفى الماء المالح تولد أحاسيس جديدة وطازجة ومرهفة جدا..

قالت وهى تغطس فى الماء.

- "لو علم أبى أنى خرجت معك لقتلنا "

شدها إلى الأعمق فغاصا فى الماء حتى

الركبتين .قبضت على يديه وزامت كقطة إفرنجيه ودود.

غاصا فى الماء حتى الأعناق..يتلاغيان ويضحكان ..ضمها إلى صدره يدوران كما فى دوامة ..

رقص كمايكل جاكسون وغردت كعصفورة ولما استغفل الجميع وقبلها فى شفتيها بعنف .اطلقت زراعيها للموج وغاصت بينما جلس على الشاطىء يلعق شفتيه ويكمل لوحة ابتدأها.

لحظات مرت.

وجد الناس يحملون جثتها ،أخرجوها من الماء يبكون.

الناس خلية نحل حاوطتها ..ألقى الفرشاة والألوان واندفع إليها مدهوشا ..يمرغ وجهه فى كفيها يصرخ فى هستيريا .

بعض الرجال يحملونه من زراعيه ..يساعدونه على النهوض

همس أحدهم :

- هى زوجتك؟؟؟

قال آخر :

- هل تعرفها ؟؟

وانغمس فى البكاء..ولما وصلت سيارة الإسعاف لحمل جثتها

هزه الشرطى من كتفه متسائلا:

- هل تعرفها؟؟

سكت عن الكاءبرهة وهز رأسه بالنفى.........

*****

فى غرفة نومه لم يستطع أن يغلق عينيه.

أمواج البحرتهدر فى جمجمته ،تفيض بعينيه وفئران القلق تأكل قلبه .

يدخن سيجاره و ينفث الدخان فيصعد إلى سقف الغرفة محدثا أشكالا خرافية يستعيد صوتها ضحكاتها صهيلها .يتأمل أشياءها ، وردتها الجافة والأصداف التى جمعتها من البحر.. أخرج اللوحة التى رسمها وتعجب أنه لم يرسم شيئا فقط دوائر سوداء..

ما حدث بالأمس

إعتصرته الشمس،طفح العرق على قميصه بقعا من الملح،هش العصافير التى تنقر فى جمجمته ،خلع نظارته الطبية.مسحها لكنه لم يتخلص من صور النهود الرجراجة وعيون قطط الشوارع الملونةالتى تطارده حتى فى أحلامه.

فى حفل تكريمه بالأمس سلموه وسام القصة ولكنهم لم يسلموه خمسين جنيه ثمن المواصلات فمشى على قدميه من ميدان التحرير إلى ميدان إلى ميدان الكيتكات بإمبابة.

... نظر إلى عقارب ساعته الموتورة وجدها تسير بسرعة عداد الكهرباء.

لما شاهد الأتوبيس قادما وضع شنطة يده بين أسنانه فى وضع الاستعداد. الأتوبيس قادم كطائرة ورقية يجر خلفه زيلا طويلا من البشر منقوعى الوجوه يهشون الخوف عن وجوههم يصرخون.يضربون بأيديهم صاج الأتوبيس يجعرون :

- (حاسب يا اسطى .....حاااااسب)

يحاول كل منهم دفع مؤخرة الآخر فى رعب.

يضع إحدى قدميه داخل الأتوبيس المزدحم جدا.

انحشر على السلم يدفعونه إلى الداخل،يتحسس مؤخرته فى رعب.

سقطت قصائده تحت أقدام الراكبين يدوسونها ويتصايحون..حاول أن يلتقط أوراقه ،"قصائده وأحلامه النيئة".

سقطت فردة حذاءه ، حاول التقاطها لكنه وجد جسده مدفوعا إلى منتصف الأتوبيس تاركا عينيه مع فردة حذاءه التى سقطت إلى براح الشارع وهو يخبط بكفيه فى سقف الأتوبيس يصرخ

– "حاسب يا اسطى ..جزمتى ضاعت ..حاسب يا اسطى"

السائق يفتح فمه المثرم عن ضحكة طويلة ممطوطة

يدوس بنزين ،فتندفع السيارة فى سرعة مفرطة

- (خلى بالك من البنطلون هههههههههه)

وتوالت تعليقات ساذجة وراح الناس يفرغون قهرهم فى ضحك هستيرى مستمر.

قال بائع المناديل الورقية وهو محشورخلف مؤخرة امرأة:

- "لو جزمتك بتحبك هتسبقك ع البيت هههه هاى "

توقف الأتوبيس. اندفع محاولا النزول..حذق بشدة وهو يحاول الخروج من باب الأتوبيس،أحس بألم فى مؤخرته..اندفع على الرصيف،توقف للحظات.مسح نظارته الطبية تأكد من وجود جريدة أخبار الأدب فى يده وصورته فى الصفحة الأولى ،المركز الأول على الوطن العربى .

قرر العودة للبحث عن فردة حذائه.

عيون الناس فى الشارع تتبعه ينظرون إلى مؤخرته وإلى فردة حذائه ويتهامسون.

فكر قليلا .."الجرى مفيد للصحة"

راح يجرى يتبعه ظله المهدود،وعيناه تمسحان أرض الشارع بحثا عن فردة حذائه يدعو الله أن يعمى عنها عيون الذبالين والكناسين وأطفال الشوارع.

أخيرا لمحها ملقاة على وجهها فى منتصف الشارع والسيارات تدهسها ذهابا وإيابا.

انقض عليها غير عابىء بصوت فرامل السيارة التى كادت أن تدهسه،التقطها وفقز إلى الطوار يتفحصها يضعها فى قدمه وقد انبعجت وأصبح شكلها غريبا.

راح يجرى على الطوار حتى وصل إلى مقهى "سلامه سنبل "الذى بمحطة الكيتكات .

القى جسده المهدود على الكرسى ..خبط كف بكف ونادى بصوت واهن :

- "شاى مر علقم يا توحه".

ارتشف الشاى ، أحس ألما فى مؤخرته ،نذكر ماحدث بالأتوبيس ..قفز يتحسس مؤخرته ،أرعبه لون الدم وتأكدمن شق جيب بنطاله وسرقة حافظة نقوده .

تعجب كيف لم يشعر بالموس الذى شق الجيب وانغرس فى اللحم .جز على أسنانه بغيظ ،تصفح جريدة أخبار الأدب وتركها بجوار كوب الشاى الفارغ ،ترنح وكأنه جسد بلا رأس جارا قدميه فى إتجاه شقته.

صعد السلم إلى الدور الثالث ، وضع المفتاح فى الكالون ليفتح الباب.أتاه صوتها..

- "حمدالله على السلامةيا أستاذ ماضى "

وراحت تتراقص وتدندن:

"كان فعل ماضى ما تسيبه فى حاله "

وماضى احنا مالنا وماله "

ثم أردفت :

- "صورتك منوره الجرنال يا سى ماضى"

ابتسمت ومدت يدها :
- فاتورة الكهرباء .

دفعت لك فاتورة الكهرباء.

هزت صدرها الرجراج العارى ولوحت بزراع مثقل بالأساور الذهبية.

"قلت يا بت يا "نوسة" الناس لبعضها وأنت شاعر وبتفهم فى الأصول "

وراحت تتمايل كمهرة برية تدندن:

"ماضى مانسيبه فى..... حاله....ومالوه "؟؟؟

ابتلع ريقه الذى جف وأصبح بطعم العلقم.مديده وأخذ فاتورة الكهرباء .

وهم بالدخول إلى شقته فهمت به وغلقت فى وجهه طرق الهروب بأن تحركت إليه واضعة إحدى يديها على حلق الباب واليد الأخرى فى خصرها الملفوف ورفعت صدرها إلى عينيه وصهلت كفرسة برية :

- مالك يا سى ماضى ؟؟

أحس رعشة تزلزله من الأعماق.تصعقه ،غرس عينيه بين نهديها ثم انحدر إلى بطنها وأشاح بوجهه إلى الأرض:

- "أنا ماضى ياست نوسه ..ماضى
- ..مااااضى".

قال ذلك وهو يكاد يختنق.

استمتعت بخجله واستدارت إلى باب شقتها ،استرق نظرة إلى مؤخرتها وأغلق باب شقته على نفسه .

جلس بالصالة يتأمل الشق الموجود بالحائط ، أشعل سيجاره دخنها

الدخان يملأ المكان .يتصاعد فيبدوكثيفا ويتفرق عند اصطدامه باللمبة الصفراء المشنوفة بالسقف .

فى الفيلم الأخير الذى شاهده فى جمعية الفيلم أعجبه جدا جسد البنت الشقراء وهى ترتدى الاستيرتش.

يحدث نفسه.

أه لو ترتدى "نوسة" ذلك الاستيرتش .كنت آخد دور البطل

أمسك كتاب شمس المعارف الكبرى الذى اشتراه من سورالأزبكية كى يستجلب شياطين الشعر والكتابة ..ولما انتهى من تلاوة تعاويذه حاوطته شياطين الكآبة. أشعل سيجارة أخرى من عقب الأولى .ألقى بالكتاب محدثا نفسه

.."ماشيطان إلا بنى آدم هههههه".

ملعونة الفلسفة ملعون فرويد وكانط كلهم كدابين ..أحس بألم فى مثانته ،دخل إلى الحمام .تأمل الجرح فى مؤخرته ،بال وهو يتألم .

أحس ألما فى عضوه وحرقان شديد ، الدكتور قال احتمال

يكون التهاب البروستاتا.

لما ذهب إلى طبيب آخر نهره بشدة

- أنت متجوز ؟؟؟

ولم يجب ..

- "أكيد أنت إنسان عكاك اتق الله فى نفسك"

وأردف .."عندك سيلان ..علشان تبطل ترمرم."

تذكر ..لما احتوتة تلك المرأة المتخشبة الصدر كانت بقعة من الدم أسفل قميصها لكنه أغمض عينيه .

داهمه قرف مفاجىء ..ارتدى ملابسه .أحس ألما فى خصيتيه وظهره .

تعلقت برقبة وفمها فى فمه :

- "نستحمى الآول.؟
- "سيبنى أمشى"

ويدفعها محاولا الابتعاد عنها ،تندفع إليه وتلف يديها حول عنقه وصدرها فى صدره تماما:

- "عجبتك؟؟؟"

يصمت ..فتزووم

- "إوعى تفتكر إنى ؟؟؟؟أنا أول مره أخون جوزى" ..

أحس بالدهشة والدوار ،دفعها عنه :

- "حاسس أنى دايخ وعايز أرجع اللى فى بطنى" ..

أمسك ديوان نزار قبانى يقلبه .ثم جلس يتفحص الأدويه ويقرأ نشراتها ،جميعها مضادات حيوية ، بصق

"طظ فى الشعر ،طظ فى الستات والفلسفة ونوسه وأشباهها"

**

أشعل سيجارة محدثا نفسه وهو يتأمل الشق والرشح بالسقف مقلدا صاحب العمارة :

- "حصوة فى عين اللى مايصلى على النبى ،البيت ده متين ومبنى بمزاج هههههه"

الدخان يتصاعد حتى يصطدم بسقف الغرفة ويدور حول اللمبه الصفراء المعلقة بالسقف.

يفتح التليفزيون ،وتتوالى أخبار هزائم العرب فى اليمن وفى العراق وفى سوريا ،يزداد الألم فى مؤخرتة وحرقان شديد

يغلق التليفزيون ، يبصق.

تذكر آخر مرة قبل أن يترك قريتة ويتوه فى زحام القاهرة

علبها الأسمنتية القاتمة "شوارعها المعجونة بوجوه الناس .

شيخ القرية أكد عليه أن يلتزم بالصمت مهما رأى لأن البيوت أسرار وأن الباشا الذى سيذهب للمبيت معه فى الفيلا يخاف أن يبقى وحيدا وأكد له أن حراسة ذلك الباشا ليست عملا مرهقا ،فقط لن ينام الا بعد نوم الباشا وأنه أعد له سريرا فى غرفة بالدور السفلى .

قالو له أن تلك الفيلا مسكونة بالشياطين ولم يصدق .

صلى المغرب فى مسجد القرية وتوجه ألى الفيلا .

مبى أنيق محاط بالأشجار من كل اتجاه البيوت الطينية القروية المتناثرة حوله تجعله مهيبا ومخيفا أيضا . ووجده هناك بشعره الأبيض جالسا وفى يده جريدة يتصفحها .رمقه بعينين واسعتين وأومأ اليه ليجلس فى الكرسى المجاور .ناوله الجريدة وقال فى هدوء :

- **قالو لى أنك شاعر كبير ..ممكن تقرأ لى صفحة أخبار الأدب**

  لمح الخجل فى وجهه ، فاردف قائلا:
- **سمعنى صوتك ..ولا أقول لك سمعنى قصيدة من قصائدك لو كنت شاعر بجد.**

كان" ماضى" فى تلك الفترة يمر بتغيرات نفسية وحياتية كبيرة بعد موت أمه فألقى قصائد كلها شجن وكان الرجل المسن يبتسم ويضع على الطاولة ورقة نقود جديدة كلما انتهى من قصيدة .ثم وضع كل النقود فى كف" ماضى" .

دخل الرجل المسن إلى غرفة نومه ونزل "ماضى" للنوم فى الغرفة المخصصة له بالدور السفلى .

ولما اطمئن لنوم الرجل .تمدد على السرير مدهوشا فرحا، لأول مره أصبح له سرير يفوح بالعطر .لم يستطيع النوم من شدة الفرح و النقود التى نفخت جيبه الليلة الأولى مرت بسلام واستيقظ فى الصباح وكأنه فى حلم صيفى .

فى الليلة الثانية ولما حان موعد النوم .نزل الى الدور السفلى ولما دخل إلى غرفته واستقر فى السرير الناعم الذى يفوح بالعطر.سمع صرخات ترج الفيلا .قفز من السرير خارجا من الغرفة صوت الصراخ بالدور العلوى صرخات امرأة وليس رجل..تسحب صاعدا ليطمئن على الرجل ،داهمه صوت تحطم وكأن أوانى نحاسية ترتطم ببعضها .تسمر فى مكانه وحط هدوء مفاجىء على الفيلا ..كذب أذنيه وراح يضحك ساخرا من نفسه لما وجد الرجل نائما فى غرفته .تسحب على أطراف أصابعه نازلا

إلى غرفته يكاد يحدث نفسه ..دخل إلى غرفته وأغلق بابه وداهمه خوف خرافى عندما سمع ضجيجا فى الغرفة المجاورة زغاريد وأصوت نساء يضحكن ..

هو يعلم جيدا أن الغرفة المجاورة لغرفته مغلقة بقفل قديم وصدىء..

ظل طوال الليل يرتجف وفى الصباح تأكد أن سرواله مبلول فصمم ألايعود إلى الفيلا أبدا ..ركب القطار المتجه إلى القاهرة وتاه بين التائهين ..

*****

تحسس الجرح الذى بمؤخرته وأشعل سيجارة أخرى

يمسك صورة حبيبته "ليلى" البنت التى حلم بها وحلمت به .لما قبلها بين عينيها فى المرة الأخيرة ابتسمت قائلة :

- "أنا خايفةأحسن تضيع منى ،لو بتحبنى صحيح تبطل بحلقة فى النسوان "

ضحكا معا..قالت

- اوعدنى تبطل رمرمة وتاخد دواك فى ميعاده.

قفز من مكانه كالممسوس .محدثا نفسه "ميعاده ميعاده ؟؟ميعاد "ليلى "

فتح علبة لبوس وضع واحدة فى فتحة شرجه ،.

صفف شعره وقفر السلالم خارجا إلى الشارع .

يوقف تاكسى ..يتحسس الجرح بمؤخرته وجيب بنطاله المشقوق يتذكر أنه فقد حافظة نقوده وقصائده ،

- "آسف يا اسطى ..أنا هاخدها مشى"

السائق يبتسم ابتسامة صفراء :

"عالم مجانين". ينظر إلى فردة حذائه التى دهكتها السيارات والأيام وقد تغير لونها فبدى وكأنه بهلوان يرتدى فردتى حذاء مختلفتين تماما.

يبتلع ريقه المر بطعم العلقم ويتخلله هم وغيظ عميقين ..يتذكر وجه"ليلى" حبيبته .

يبتسم ،يسرع الخطا ، يهرول ،يجرى فى خطا منتظمة ..

***

يصل إلى الحديقة العامة الهادئة مكان لقائهما المفضل ،يجول بعينيه فى المكان،يراها وسط الزهور،يجرى إليها .تجرى ناحيته وفى يدها زهرتان ،يكادا يتعانقا.تتسع عيونهمابفرح طفولى ،يقبض على يديها ويدوران فى الحديقة .يحلسان بالقرب من النافورة ،يقبل كفيها

.أصابعها..أظافرها تم يرفع وجهه ببطىءمحدقا فى عينيها منحدرا إلى شفتيها ،تغمض عينيها ،ترتعد،:

- "بلاش كده بدوخ"

يضغطها إلى صدره، تتعانق الأعين ،تهمس ،"أنت مجنون"

تنفلت منه ، يهمس "بحبك" ويرتفع ماء النافورة فى الهواء ليتشكل فى ضوء الشمس المائلة للغروب بلورات رائعة.

يجريان على الحشائش، يختفيان فى ظلال الأشجار لثوان. يحكى لها ماحدث ويريها الجرح الذى بمؤخرته ويحكى لها ما فعلته فردة الحذاء المجنونة وعن فوزه بالمركز الأول فى مسابقة القصة القصيرة تضحك ساخرة

- "أهم حاجة هتاخد كام ؟؟

تصيبه دهشة ..يشعر بقرف..

يتوارى بين الأشجار "يبول وهو يتألم"

تضحك ..

يجلس بجوارها ، ويضحكان.يفرك عضوه بطريقة جنونيه ويتألم ..

-"علشان تبطل دناوه"

ثم أردفت :

- "أنا اللى أستاهل ..مستنياك ونفسى اتجوزك وأنت ولا فى بالك"

تنهدت قائلة :

- "آه ابن عمى بيلمح ..وأنت لازم تقابل بابا وكل شيء ممكن يتدبر ،بس انت حس وسيبك من حكاية الشعر والقصص دى ، دا الشعر ما يأكلش عيش" ..

يرفع يدها إلى فمه يقبل كف يدها يضمهما إلى صدره وبالقرب من باب الحديقة يهمس لها :

- "بحبك "

تبتسم

- "هستناك"

يعدها أنه سيزورهم فى الغد.يغمرهما فرح طفولى ، وقبل أن يفترقا يخطف قبلة سريعة بين شفتيها ثم يواصل المشى ، يسرع الخطا ..

يهرول ، طوال الطريق يحلم ..كلماتها تتردد فى رأسه..إبتسامتها الحلوة..حرارة كف يدها بين يديه.

هدأ من مشيته..تسكع فى الشارع يتأمل الفاترينات ، واجهات المحال التجاريه ..يقرأ أسعار فساتين الزفاف..بدل الرجال وأربطة أعناقهم..أسعار الأحذية الفاخرة .

****

يصعد السلم إلى شقته ..يدندن..يفتح باب الشقة ،يجلس بالصالون "كرسى خرزان قديم وطاوله عجوز متهالكة ،يدقق النظر إلى الشق الموجود بالحائط يخيل إليه أنه اتسع حتى صار شرخا كبيرا.

راح يخبط أصابعه فى رأسه وكأنما يهش عصافير الخوف من جمجمته يتأمل صورة أمه المعلقة على الحائط فى برواز باهت قديم ،عندما ترك القرية قادما إلى القاهرة بكت أمه وقبلته ودعت له :

"روح يا ابن بطنى ربنا يوقف لك فى سكتك أولاد الحلال، ويرزقك ببنت الحلال اللى تريح بالك"

ذرفت عينيه دمعتان ،تمنى لو يملك بساطا سحريا يحمله إلى قريته ..إلى قبر أمه .

أحس أنه فى حاجة شديدة للبكاء، بكى بشدة.

أمسك كتاب فرويد تصفحه ثم ألقاه جانبا وأشعل سيجارة دحنها وفتح التليفزيون الأبيض والأسود الملصوقة عظامه بالبلاستر

القناة الأولى وموجز أهم الأنباء:

" القوات الأمريكية تلقى القبض على صدام حسين."

"مقتل أكثر من خمسة آلاف عراقى فى تفجير فى البصرة"

"حزن شديد وحداد عام فى بريطانيا لموت قرد من النوع النادر"

"انهيار برج الأسكندريه بسبب غش فى حديد التسليح والأسمنت "

يقفز من مكانه ،يحدق فى الشق الموجود يالسقف .

يفتح الثلاجة القميئة يحضر طبق خيار مملح يفتح زجاجة بيره "الدكتور أوصاه بالإكثار من شرب البيره والشعير المغلى "شرب وراح يتحرك فى الغرفة وكأنه مجنون.

أمسك بعض قصائده القديمة والمنشورة فى جرائد كثيرة

وكومة من الأوسمة وشهادات التقدير الأدبية يقلبها ويضحك محدثا نفسه.

"مين يشترى كتاب ويدينى خمسين جنيه ؟؟ كتابين ويدينى ألف جنيه بس"

..يقفز ليجلس فوق الطاولة القديمة واضعا يديه على رأسه يسترجع كل ماحدث..يبكى ثم يضحك .يترنح من شدة الضحك والدموع تفيض بعينيه.

المؤلف فى سطور



رشاد عطيه غريب الدهشورى

وهو موظف بوزارة الموارد المائية والرى

عمل بالهيئة المشتركة لقطاع مياه النيل بجمهورية السودان

ويعمل حاليا بالإدارة العامة لرى غرب البحيرة بهندسة رى الخطاطبة .وهو من مواليد 23/1/ 68 قرية الاخماس. مركز السادات .محافظة المنوفية

ومن أعماله الأدبية

1-هتافات التورة .ديوان شعر بالعامية المصرية صدر الكترونيا

2-آخر ورقة .ديوان شعر بالعامية المصرية

3-كف الحناء..مجموعة قصص قصيرة

4-حكايات الصمت والعطب.قصص قصيرة

5-خط احمر ديوان شعربالعامية المصرية ..

محتوى الكتاب